

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 25- سورة آل عمران | من الآية 611 إلى 711

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا. واولئك - 00:00:00

اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون. مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل انفسهم يظلمون. هاتان الايتان الكريمتان من سورة آل عمران جاءتا بعد قوله جل وعلا ليسوا سواء - 00:00:30

من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات. ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعل من خير فلن يكفر. والله عليم بالمتقين - 00:01:10

ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيء ذكر جل وعلا في الايات السابقة ثناء اهو على من امن من اهل الكتاب. وجاء في اية اخرى - 00:01:50

انهم يؤتون اجرهم مرتين. لايما نهم بنبيهم ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. عقب هذا ذكر جل سوى على الكافرين من اهل الكتاب. وتوعدهم فهم مهما جمعوا من الاموال واعطوا من الاولاد فان ذلك - 00:02:20

لن ينفعهم عند الله في الدار الآخرة. ولن يغني عنهم شيئا فقال تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا. قيل المراد بهم من كفر من اليهود. من بني قريظة ومن النظر - 00:03:00

وغيرهم من كفار اهل الكتاب. وقيل المراد بهم كفار قريش لان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وولده. واتباعه وانصاره. وقيل الى المراد جميع من كفر بالله ورسله من اليهود والنصارى والمشركين قاطبة - 00:03:40

وهذا اولى والله اعلم. وان كانت الآية نزلت لسبب فالعبرة كما يقول المفسرون رحمهم الله العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص اسس السلف قال جل وعلا ان الذين كفروا ايا كان كفرهم - 00:04:30

يهود او نصارى او مشركين او من عباد الكواكب او غيرهم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم. وهذا ثالث صنفان هما اكثر ما يفتخر به المرء ويعتمد عليه به في الشدائد. ان كانت المسألة مسألة افتداء. وبذل مال - 00:05:00

فهو اكثر ما يعتمد على ماله. لا يعتمد على مال غيره. وان كانت المسألة مدافعة وطلب نصره وطلب معاونة او كف او مقابلة عدو فاكتر ما يعتمد على او ولده فاخير الله جل وعلا عن هذين الصنفين انهما - 00:05:40

لا يغنيان عن العبد اذا كفر بالله شيئا فغيرهما من باب اولى. الا اذا لم ينتفع بماله فلن ينتفع بمال ولده ولا مال فيه ولا ما لآخيه ولا ما لجاره. واذا لم ينتفع بولده فلن ينتفع بولد غيره - 00:06:20

وكان الكفار كثيرا ضائعتمدون على اولادهم في النصرة والتأييد وغير ذلك. كما قال بعض وهم لبعض العرب لما تسمي خادمك سهل وسالم اسمي ولدك صخر وحرب ونحو ذلك. فقال اسمي خادمين - 00:06:50

واسمي ولدي لعدوي يسميه ليكون في وجه عدوي وفي نحره. واسمي خادمه لي عندي يخدمني ومعني فانا اقول له هذا الاسم الحسن سهل وسالم ونحو ذلك والله جل وعلا يرد - 00:07:30

على من افتخر بماله او افتخر بولده بان ذلك عليك لن ينفعه عند الله شيئا. فلو كان لاحدهم من المال ذهب ما افتدى به وما قبل منه.

ولو كان لاحدهم من - 00:08:10

اخواني من الارض ما دفعوا عنه من عذاب الله شيئا. فتتييس للكافر من ان يعتمد على من يظن انه ينصره ويساعده. ان الذين فكفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي شيء - 00:08:40

واولئك هؤلاء الكفار اصحاب النار اهلها وهي مأواهم هم فيها خالدون. الخلود الاستمرار. يعني لا لا يرتاحلون ولا يوعنون عنها ولا ينصرفون. ولا تطفأ او تموت. او تنتهي بل مستمرون في العذاب والعياذ بالله. ثم جل وانه جل وعلا - 00:09:10

بمثل محسوس يدركه كل احد. في ان المرأة يعتمد على شيء ما فيخونه هذا الاعتماد احوج ما يكون اليه فهو احوج ما يكون في الساعة التي يحتاج الى هذا الشيء يكون - 00:09:50

لا يجده ولا ينتفع به. فقال مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا مثل انفاقهم لانهم يفتخرون انهم انفقوا في الحرب كذا وكذا وابو جهل يقول انفقت في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كذا وكذا من المال - 00:10:20

ويوعد بانه سيبدل الاموال الطائلة لكف دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يفتخر بهذا. يأتي بهذا على سبيل الافتخار اخبر جل وعلا ان هذا البذل الذي يبذله هو وامثاله - 00:10:50

ما يستفيدون منه شيئا. مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا. كما بريح فيها سر اصاب حرت قوم ظلموا انفسهم فاهلكته الزارع والحارث يزرع فترة طويلة يعمل الثمرة والربح والغنى والانتفاع بما يجرى يتعب فيه اشهر - 00:11:20

ليجني الثمار فبين جل وعلا ان من ينفق ماله في غير مرضاة الله جل وعلا انه كمثل حرف قوم اصابته ريح باردة شديدة. والسر الريح المصحوبة بالبرد الشديد. وقيل الريح المصحوبة بالحرارة الشديدة. وكلا الامر - 00:12:00

صحيح ان كانت مصحوبة ببرد شديد اهلكت الزرع وان كانت مصحوبة بحر شديد ولهيب نار احرقت الزرع. فهي تتلفه في كلا الحالين. كما ريح فيها سر برد شديد. او حر شديد. اصابته هذه - 00:12:40

زرع قوم ظلموا انفسهم في معصية الله تعالى ظلموا انفسهم فاهلكته. يتلف. كان يعمل الغنى الواسع. وحصر المال العظيم من هذه الزرع فاذا به في لحظة ييبس ويكون لا قيمة له - 00:13:10

فاهلكته. ثم ان الله جل وعلا اخبر انه منزله عن الظلم وما ظلمهم الله. والله جل وعلا يقول وما ربك بظلام للعبيد. وما ظلمناهم لكن ظلموا انفسهم وما ظلمهم الله لان الله جل وعلا حرم الظلم على نفسه - 00:13:40

وحرمه على عباده. يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا. والله جل وعلا وعد بانه سيقبض للمظلوم من الظالم يوم القيامة. مهما كان الظالم قويا عظيما جبارا عنيدا فان الله - 00:14:10

الله جل وعلا سيأخذ منه الحق. لمن ظلمه. ومهما يكن المظلوم ضعيفا فقيرا مسكينا فان الله سينصره ويأخذ له الحق. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الظلم وان كان لغيره وان كان لبيت المال وان كان - 00:14:40

الذي يأخذه لمصلحة المسلمين يقول اياك اياك. يقول لمعاذ رضي الله عنه واياك وكرائم اموالهم. لا تظلمهم تأخذ الطيب والغالي والنفيس عليه في الصدقات واياك وكرائم اموالهم ثم جعله ينتبه - 00:15:10

لربه تبارك وتعالى ويحسب لهذا الف حساب ولا يكن نظره الى المظلوم فالمظلوم قد يكون فقير المسكين ما احد ينصره ولا احد يؤيده سوى الله تبارك وتعالى. قال واتق دعوة المظلوم - 00:15:40

فانه ليس بينها وبين الله حجاب. ينصرها الله جل وعلا ويأخذ الحق منك حتى وان ظلمته لمصلحة المسلمين او لبيت مال المسلمين او ظلمته لاجل تنمية موارد المسلمين. لا. احذر هذا. وما ظلم - 00:16:00

الله بهذا الفعل وباتلاف اموالهم وبعدم اغناؤه عنهم شيئا ما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون. هم ظلموا انفسهم فالمرء اذا عصى الله ظلم نفسه. اذا انفق ما له في معصية الله ظلم نفسه - 00:16:30

اذا قصر في طاعة الله ظلم نفسه. وقد يكون الظلم باختيار غير الاولى بالاتيان بالحسنة. قد يكون المرء ظالم لنفسه وهو اتي بحسنات انه بامكانه ان يأتي بحسنات اكثر فاقتصر على الاقل فيكون ظلم نفسه - 00:17:00

بإمكان أن يأتي بالفعل أفضل وأحسن فأتى بالفعل مجزئاً. فيكون ظلم نفسه وإن لم يكتسب سيئة لكن قصر في اكتساب الحسنات. ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها - [00:17:30](#) قال له أبو بكر يا رسول الله علمني دعاء أدعو به وفي رواية في صلاتي. قال قل اللهم أني ظننت نفسي ظلماً كثيراً. ولا يغفر الذنوب إلا أنت. فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني - [00:18:00](#) أنك أنت الغفور الرحيم. اللهم أني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً. أبو بكر رضي الله عنه السباق إلى الخيرات يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الاعتراف بأنه ظلم نفسه ظلماً كثيراً. وقد لا - [00:18:20](#) كونوا ظلمها بالوقوع في المعصية. وإنما ظلمها بفعل ما هو أقل ثواباً أكثر ثواباً. فيكون ظلم نفسه. إذا عصى الله ظلم نفسه. إذا قصر فيما أوجب الله أو عليه ظلم نفسه هو لا يضر الله شيئاً ولكن يضر نفسه. وما ظلمهم الله ولكن - [00:18:40](#) أنفسهم يظلمون. فهم يظلمون أنفسهم بالوقوع في المعاصي. فحصل ما حصل عليهم من الخسارة والهلاك في الدار الآخرة. وذلك أن الله جل على مطلع على أعمالهم. ويعلم المخلص من غيره. يعلم من يريد وجه الله - [00:19:10](#) ومن لا يريد ذلك يعلم من يبذل ماله فيما في طاعة الله ممن يبذل ماله في معصية الله. والناس تخفى عليهم الأمور. قد يشكرون شخصاً لا يستحق عند الله شيئاً - [00:19:40](#) وقد يلومون شخصاً هو عند الله جل وعلا من المقبولين ومن الفائزين أن الأول رأى الناس بعمله فمدحه الناس والله جل وعلا لا قيمة للثواب لا قيمة العمل الذي يعمل به العبد لغير وجهه. والآخر أخفى عمله الصالح وأسرّه - [00:20:00](#) فيما بينه وبين ربه فرضي الله عنه والناس قد يسخطون عليه. فما يظيحه سخط الناس فما الذي يضيره سخط الله؟ والذي ينفعه هو رضا الله. من رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس. ومن - [00:20:30](#) التمس رضي الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس فليخلص العبد في عمله لربه وليسرّه حتى يكون ثوابه مكماً موفوراً يجده أحوج ما يكون إليه في الدار الآخرة - [00:21:00](#) يقول الله تعالى مخبراً عن الكفرة المشركين بأنه لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أي لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراد بهم فاولئك - [00:21:30](#) أصحاب النار هم فيها خالدون. ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار في هذه الدار. فقال تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر. أي برد شديد. قال ابن عباس رضي الله عنه وقال عطاء فرد - [00:21:50](#) وجليل فيها سر أي نار وهو يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يشبه بالنار. أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته. أي فاحرقته - [00:22:10](#) يعني بذلك الصعقة إذا نزلت على حرث قد أنشأه أو حصاه فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع فذهبت فيه به وأفسدته فعلمه صاحبه أحوج ما كان إليه فكذلك الكفار يمحق الله - [00:22:30](#) وثواب أعمالهم في هذه الدنيا. كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها بنوها على غير أصل وعلى غير أساس وما ظلمه الله ولكن أنفسهم يظلمون. والله أعلم - [00:22:50](#) صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين - [00:23:10](#)